

# الأمن المستدام، ثم التنمية

النقيب جوناثان بان، الجيش الأمريكي

إن الاستراتيجيةيين من ذوي البصيرة يفهمون أنه ولئن كانت بعض الحيل خالدة، فإن حيلاً أخرى ليست كذلك. بعضها ينطبق على كافة الأوضاع؛ وبعضها لا ينطبق. وفي حالة جنوبي أفغانستان، حيث توجد مناطق تضم أعداداً كبيرة من مقاتلي العدو المصممين أيديولوجياً على إعادة طالبان إلى السلطة، سوف يحتاج الأمر إلى ما هو أكثر من مجرد وعود بمشروعات تنمية لإقناعهم بالعودة إلى المجتمع المدني والتصالح مع حكومة جمهورية أفغانستان الإسلامية. وتدعو العملية التالية إلى تحقيق أمن مستدام، يعقبه تحقيق الاستقرار، ثم التنمية. غير أنه بينما يسبق الأمن المستدام التنمية، يجب أن تنطوي العملية على خطط جيدة لمكافحة التمرد وكافة خطوط العمليات الأخرى. علاوة على ذلك، يمكن للتنمية أن تحسّن الأمن بالفعل، ولكن هذا لا يحدث إلا إذا استتب الأمن المستدام أولاً.

إن الأمن المستدام نهج طرحه الجنرال المتقاعد وليام ولاس لتحقيق «مستوى معقول من الأمن على نحو يتيح تطبيق كافة جوانب السلطة الوطنية في آن واحد تقريباً»<sup>2</sup>. قد تحقق الوحدات أمناً مستداماً عن طريق العمليات الهجومية والدفاعية أثناء مناوباتها؛ غير أنه متى نفذت بنجاح مثل هذه العمليات التي تخلق روح المبادرة، فإن الكثيرين لا يتابعونها بعمليات استقرار آتية للحفاظ على المبادرة. لذلك، فإن على الوحدة التالية التي

”رما حان الوقت للتركيز على الجهود الوطنية الأمريكية لاتباع نهج مختلف - نهج جماعي يضم كافة عناصر القوة الوطنية - نهج يركز على تصدير الأمن بدلاً من نشر القوة القتالية العسكرية. ومحور هذا الاقتراح هو ضرورة إقامة مستوى معقول من الأمن على نحو يمكن تطبيقه في كافة جوانب القوة الوطنية في آن واحد تقريباً...”

-الجنرال وليام ولاس، متقاعد، الجيش الأمريكي

إن التجربة المتكررة لقوات التحالف في جنوبي أفغانستان هي أن الأمن يسبق التنمية. ومع ذلك، فإن الجدل بين الأمن والتنمية بات أشبه ما يكون بالجدل حول الدجاجة أو البيضة. لقد حان الوقت لتفكيك هذا اللغز؛ إذ يجب تحقيق الأمن المستدام قبل أن يمكن البدء في التنمية.

لقد استطاع قائد ميداني يعمل في أفغانستان أن يلمس بفعالية جوهر هذه القضية: «يريدون منا أن نعامل العدو على طريقة صن تسو في كل شيء عدا استخدام القوات، ولكن هذا لن يجدي». ويوحى استحضار اسم صن سو، وهو جنرال صيني قديم، وخبير استراتيجي، ومؤلف فن الحرب، بأن المرء ليس في حاجة إلى القتال حتى يحقق النصر: «من هنا فإن القتال والقهر في كل معاركك لا يمثل التفوق الأعلى؛ فالتفوق الأعلى يتألف من كسر مقاومة العدو بدون قتال»<sup>1</sup>.

كذلك في جمهورية كوريا، وهو خريج كلية باروش، بجامعة مدينة نيويورك.

النقيب جوناثان بان هو ضابط التنمية الاقتصادية في اللواء الخامس، الفرقة الثانية مشاة، مطار قندهار في أفغانستان. خدم



صورة سلاح الطيران الأمريكي التقطها الرقيب الجوي جون لوبين

صورة: جنود أمريكيون يتوقفون ويستريحون إلى جانب قناة أثناء قيامهم بدورية راجلة خلال عملية عنكبوت هيلماند في بادولا قلب. إقليم هيلماند، أفغانستان. 17 شباط / فبراير 2010.

الإسلامية بضربة قاضية واحدة. والدرس المستفاد من هذه الواقعة بسيط. ولا مفر منه، وأساسي: يجب أن يكون الأمن المستدام متواجداً لحظة أن تبدأ التنمية. والنتيجة المباشرة، طبعاً، أنه كان على المرء أن يخطط لنشاطات التنمية (مثل، تشكيل البيئة) حتى يمكن تنفيذها حالما يستتب الأمن المستدام.

### الاستقرار مقابل التنمية

ثمة اختلافات كبيرة بين الاستقرار والتنمية. وطبقاً لوزارة الدفاع، فإن عمليات الاستقرار "تساعد في تحقيق النظام الذي يعزز مصالح وقيم الولايات المتحدة. وكثيراً ما يكون الهدف الفوري هو توفير الأمن للسكان المحليين، واستعادة الخدمات الضرورية، وتلبية الاحتياجات الإنسانية".<sup>3</sup> ويمكن قياس التنمية بارتفاع مستوى معيشة المواطن العادي. وثمة مجالات متعددة للتنمية. من أمثلتها الشائعة الحكم المحلي، والرعاية الصحية، والتعليم، والمساواة بين الجنسين، والبنية

تصل أن تعمل. قبل قيامها بعمليات استقرار. على إقامة بيئة أمنية تم شراؤها، حرفياً، بالدم، والعرق، والدموع. إن الأمن المستدام هو الشرط الكافي لعمليات الاستقرار. ومطلوب من عمليات الاستقرار، بالتالي، أن تحافظ على الأمن المستدام.

فمثلاً، تتناثر المدارس المهجورة أو المخرّبة لتملاً المشهد في جنوبي أفغانستان. وهناك المثل المتداول للفريق الإقليمي لإعادة البناء الذي يبني مدرسة في قرية بكل ثقة. وخلال حفل الافتتاح بقص الشريط، يتسم قائد الفريق الإقليمي لإعادة البناء، والقائد القتالي، وحفنة من المسؤولين الأفغان لالتقاط صور للعلاقات العامة. وفي الليلة ذاتها يتسلل أفراد من طالبان إلى البلدة، ويضعون بعناية خطابات ليلية، وفي اليوم التالي مباشرة لا يذهب المدرسون أو الطلبة إلى المدرسة. لقد قوّضت بضع ورقات من الحجم الأوروبي وأخرجت الفريق الإقليمي لإعادة البناء، والوحدة العسكرية، وحكومة جمهورية أفغانستان



الرئيس الفتي الذين لعبوا سلاح الطيران الأمريكي

جنود من الجيش الوطني الأفغاني وقوات المساعدة الأمنية الدولية يستريحون أثناء دورية راجلة في الصباح الباكر لدعم العملية مشترك. بادولا قلب بإقليم هيلماند. في أفغانستان. 19 شباط/ فبراير 2010.

أفغانستان. أدرك كبار صانعي القرار أهمية "آلة برنامج الاستجابة الطارئة للقائد" بسبب قلة الانفاق: فقد تم اعتماد 37 مليون دولار فقط للتنفيذ اعتباراً من أواخر أيار/ مايو 2010. غير أن من الضروري خاشي الإنفاق الأعمى والمشروعات العشوائية. وتفتقر القوات المسلحة إلى الخبرة اللازمة للاستقرار. بما في ذلك فيلق الشئون المدنية. الذي تمزق بسبب عمليات الانتشار المتكررة والتدريب غير الكافي. وتفيد العديد من شركات الشئون المدنية التي حل على جنوب أفغانستان بأنها لم تتلق مطلقاً تدريباً على كيفية إدارة برنامج الاستجابة الطارئة للقائد. ويتمثل الرد على هذه المصاعب في الاستعانة بالخبرة المدنية المتأصلة لدى وزارة الخارجية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية. ويجب وضع إطار عمل يشمل كلاً من المدنيين والعسكريين والاستعانة به إذا أريد لمثل هذا الجهد الموحد. والمتزامن أن يتحقق.

التحتية. والاقتصاديات. وحقوق الإنسان. والبيئة. وكل عناصر التنمية هذه ضرورية لاكتفاء أفغانستان ذاتياً. ولكن قلة منها. إن وجدت. يمكن تحقيقها دون أن يسبقها الاستقرار. تعد عمليات الاستقرار. في كثير من الدوائر العسكرية. موضوعاً غير مريح. ويعود جزء من عدم الارتياح هذا إلى عدم توفر تدريب رسمي على عمليات الاستقرار للوحدات قبل نشرها. وبالنظر إلى المصاعب التي تصادفها معظم الوحدات العسكرية لدى تنفيذها. يدعي البعض حتى أن عمليات الاستقرار ليست مهمة عسكرية. ومع ذلك. فإن وزارة الدفاع هي الأداة الوحيدة للسلطة الوطنية التي تملك ميزانية متجاوبة وكبيرة لعمليات الاستقرار على شكل برنامج الاستجابة الطارئة للقائد. الذي وصلت ميزانيته في السنة المالية 2010 إلى 2,1 مليار دولار. وفي جنوبي

من مصادر عدم الاستقرار على المستوى المحلي. ويجب استهدافها في آن واحد. وأخيراً، قد لا يكون لدى الوحدات التكتيكية القدرة على استهداف مصدر عدم الاستقرار. وذات مرة مازحني مسؤول في وزارة الخارجية بالقول بأن مصدر عدم الاستقرار «المحلي» في كافة أنحاء جنوب أفغانستان موجود في بلدة كويتا بباكستان.

ثمة وسيلة تكميلية لتحقيق التآزر العسكري المدني تتمثل في تكليف ممثل مدني كبير بالعمل مع الفريق القتالي باللواء. وكانت وحدتي محظوظة لوجود مسؤول بالسلك الخارجي لوزارة الخارجية كلف بالعمل معنا طوال الثلثين الأولين من مدة انتشارنا. وكان لذلك المسؤول دوران. عمل كمستشار سياسي تقليدي للواء، يرافقه قائد اللواء في كل مقابلاته واجتماعاته الرئيسية مع شركائنا في حلف شمال الأطلسي وحكومة جمهورية أفغانستان الإسلامية. بل إن الأهم كان دوره في دمج الأدوات غير العسكرية للقوة الوطنية في خطط وعمليات اللواء. وقام الممثل المدني بانتظام بالاستعانة بحصيلته من الاتصالات لإشراك خبراء في الزراعة، وحكم القانون، والحكم المحلي وخبراء آخرين في مناقشات لحل المشاكل المعقدة. ويبدو أن الاتجاه إلى الاستعانة بممثلين مدنيين

## ثمة وسيلة تكميلية لتحقيق التآزر العسكري المدني تتمثل في تكليف ممثل مدني كبير بالعمل مع الفريق القتالي باللواء.

كبار على مستوى اللواء أخذ في التراجع في جنوبي أفغانستان. فبعد أن خدم 14 شهراً في أفغانستان، عاد الممثل المدني الكبير في وحدتنا إلى الولايات

إن المحاولة الراهنة لتحقيق هذه الوحدة هي "إطار العمل التكتيكي لتقييم وتخطيط النزاع". وقد وضعت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية إطار العمل هذا في الآونة الأخيرة، وفي السنوات القليلة الماضية، جعل الجيش هذا الإطار جزءاً من عقيدته العسكرية، كما يؤكد ذلك إدراجه في الكتيب الميداني 3-07، عمليات الاستقرار<sup>4</sup> ويحدد النموذج النظري لإطار العمل التكتيكي لتقييم وتخطيط النزاع ثلاثة عوامل تعزز عدم الاستقرار:

- المظالم (أناس محبطون).
- لاعبون رئيسيون لديهم الوسيلة والدوافع

(طلبان).

- مجالات فرص (انتخابات الرئاسة).

الفكرة الكامنة بسيطة: حقّق الاستقرار بالتخلص من مصادر عدم الاستقرار.

وفي حين أن المفهوم الفكري لإطار العمل راسخ، ثمة شرطان مسبقان للتطبيق العملي الناجح هما التدريب على إعادة الانتشار والالتزام الكامل من جانب الكتائب والألوية.

ثمة مشكلة إزاء إطار العمل التكتيكي لتقييم وتخطيط النزاع هي أن المدربين يدعون الوحدات إلى تبنيه باعتباره منهجية الاستهداف الوحيدة بالنسبة لها، بدلاً من العمليات الأخرى للاستهداف والتخطيط المنصوص عليها في العقيدة العسكرية. (مثال ذلك، عملية صنع القرار العسكري وعملية «قرّر، وارصد، ونفذ، وقيّم»). وبعد تبني وتشغيل إطار العمل التكتيكي لتقييم وتخطيط النزاع في أفغانستان، وصفه قائد كتبتي، وهو ضابط استهداف سابق على مستوى الفيلق، بأنه «أداة تقييم لا تصدق، ولكن لا بديل عن منهجيتنا التقليدية للاستهداف». وثمة مشكلة أخرى وهي أن إطار العمل التكتيكي لتقييم وتخطيط النزاع يغري العسكريين بالتركيز على مصدر عدم استقرار واحد في المرة الواحدة. في حين أن الحقيقة على الأرض تبين أنه يوجد العديد

الملائم أو تبديد الموارد الشحيحة للتنمية في مناطق لم يكن لديها مستوى الأمن المستدام اللازم لتحقيق النجاح.

### استعادة زمام المبادرة

تعتمد العقيد هاري دي. تانيل قائد اللواء الخامس، الفرقة الثانية مشاة (الفريق القتالي باللواء المدرع سترايكر). دخول مناطق خاشرت وحدات سابقة بقوة التحالف دخولها من قبل. وبناء على ذلك، أكملت عمليات مكافحة التمرد في أحياء مختارة من إقليم قندهار (مثل، سبين بولداك و مايواند) لتوها أول سنة متواصلة مع وجود قوة التحالف. لذلك، فإن الحكم على هذه العمليات باعتبارها استمراراً لسلسلة من العمليات التي امتدت سنوات سيكون قصير النظر. وبدأ أن وزير الدفاع روبرت غيتس يتفق مع هذا الرأي فيما اعتبر أن أفغانستان شهدت حربين. الحرب الأولى كانت عام 2001، وانتصر فيها التحالف، والحرب الثانية بدأت في أواخر عام 2005، ولا تزال نتيجه موضع شك إلى حد كبير. وطبقاً للسيد غيتس، فإن "الولايات المتحدة، في تقديري، لم تنغمس في هذا النزاع في أفغانستان حقيقة سوى العام الماضي".<sup>6</sup>

إن حقيقة أن بعض الوحدات في جنوبي أفغانستان تدخل أراض جديدة تجعل من الصعوبة مكان الامتثال بالكامل باللائحة الإرشادية لعمليات مكافحة التمرد الخاصة بقائد قوة المساعدة الأمنية الدولية. وكما قال، "فإننا نجاهد من أجل تركيز 95 في المائة من طاقتنا على 95 في المائة من السكان الذين يستحقون ويحتاجون لمساعدتنا".<sup>7</sup> إن أفضل طريقة لإجاز لائحته الإرشادية هو الإقامة وسط السكان في الخافر القتالية، مما يتيح الاتصال اليومي بالسكان. وهذه الفكرة البسيطة تعقدت بحقيقة أن الموارد الهندسية المحدودة في جنوبي أفغانستان لا يمكن أن تواكب الطلب على إقامة الكثير

المتحدة. وحل محله لفترة وجيزة مثل آخر من السلك الخارجي، سرعان ما كلف بالعمل في إقليم آخر. تاركاً اللواء بدون مثل كبير خلال الأشهر الأربعة الأخيرة للقتال. ولا يبدو أنه سيجري تكليف مثلين مدنيين كبار بالعمل في أي من الألوية الأمريكية الأربعة التي تنتشر هذا الصيف في القيادة الإقليمية بالجنوب.

وتعتقد بعض المنظمات الناشئة أن تزويد السكان المحليين بمدارس، ومستشفيات، وأموال سيؤدي أيضاً بصورة عامة إلى تحقيق قدر أفضل من الأمن. وإذا ما تتبع المرء خط التفكير هذا، فمن المؤكد فهم أن التنمية يمكن أن تحدث جنباً إلى جنب مع العمليات الهجومية والدفاعية، فهذه، على كل حال، نشاطات لتحقيق الأمن. غير أن الكثير من الخبراء يختلفون مع هذه الحجة. إذ يعتقد أميتاي إتزيوني، وهو مفكر أمريكي بارز، أن الحجة بأن "التنمية ضرورية للأمن ومن ثم يجب أن تسبقه، خاطئة لأنه بدون الأمن الأساسي، لا يمكن للتنمية أن تتحقق".<sup>8</sup>

وأنا سأجادل بالتسلسل التالي للأحداث:

- أولاً، تقوم الوحدة بعمليات هجومية ودفاعية لاستعادة زمام المبادرة وتحقيق أمن مستدام.
- ثانياً، تقوم الوحدة بعمليات استقرار للمحافظة على المبادرة وتعزيز الأمن المستدام.
- ثالثاً، عندما يتعزز الأمن المستدام، تبدأ عملية التنمية.

علينا ألا نهمل خبراء التنمية ونحن ننفذ عمليات هجومية ودفاعية، فالواقع، أن التخطيط لجميع مراحل إطار العمل هذا (أو تشكيل البيئة وتطهيرها) يجب أن يحدث طوال العملية المتسلسلة حتى يمكن للتنمية أن «تبدأ نشاطها على الفور» متى استتب الأمن المستدام. ومن المؤسف، أن هناك العديد من الحالات في جنوبي أفغانستان استتب فيها الأمن المستدام ولكن التنمية لم تتحقق على الإطلاق، كل هذا بسبب غياب التخطيط

## الأمن أولاً

جورنال. فإن «ثلاثة جيوش من ثلاث دول على الأقل غامرت بدخول وادي نهر أرغنداب: قوات بريطانية، أعقبها قوات سوفيتية، وفي الآونة الأخيرة قوات كندية؛ وباءت محاولاتها جميعاً بالفشل»<sup>8</sup>. وفي الوقت الراهن، كانت أول وحدة ناجحة تدخل وادي نهر أرغنداب وتحتفظ به، الكتيبة الأولى، الفوج 17 مشاة، التي دخلت الوادي في آب/ أغسطس 2009. وفيما قد يعتبرها البعض خطوة عملياتية غير بديهية، حلت الكتيبة الثانية، الفوج 508 مظلات مشاة، محلها في كانون الأول/ ديسمبر 2009 بدلاً من تعزيزها. وقال كارل فورسبرغ، معرباً عن حجة تردد كثيراً تدعم وجود أكثر من كتيبة:

إن تجربة الفوج في أرغنداب أظهرت أن وحدة بحجم كتيبة غير كافية لإبطال سيطرة طالبان الراسخة على منطقة أرغنداب الهامة من الناحية الاستراتيجية في الوقت المتاح<sup>9</sup>.

من الحافر القتالية الجديدة، وتقام هذه الحافر وفقاً للائحة الإرشادية لعمليات مكافحة التمرد الخاصة بقوة المساعدة الأمنية الدولية.

ويجب أن توجه هذه الحقائق رسالة تحذير لأولئك الذين يرغبون في الترويج للتنمية في مناطق ليس بها أمن مستدام. فمثلاً، يُعتبر وادي نهر أرغنداب من المناطق الرئيسية التي تحتاج للتنمية في قندهار. وبالنظر إلى أن هذه المنطقة على نفس القدر من الأهمية بالنسبة لقوات الأمن الوطنية الأفغانية، وقوات التحالف، وقوات المتمردين، تبقى مشكلة أن أجزاء من أرغنداب لا تزال متنازعةً عليها، ولا بد أولاً من تحقيق الأمن المستدام فيها. ورغم الجهود النشطة الملحوظة من جانب قوات التحالف، لن يفاجأ أولئك الذين ليس لديهم معلومات تذكر عن تاريخ المنطقة بمعرفة أن القضية لا تزال موضع شك. وحسب ما جاء في مقال بصحيفة سمول وورز



الرئيس أول جون فلانيز، سلاح الطيران الأمريكي

جنود من الفرقة الثانية مشاة يشرفون على حقول جيليران خلال دورية قتالية في إقليم قندهار، أفغانستان. 15 كانون الأول/ ديسمبر 2009.

وحال أن تتجه المنطقة بأسرها اجّاهاً حاسماً نحو قوات الأمن الوطنية الأفغانية، وقوات التحالف، والحكومة الوطنية، فإن عمليات الاستقرار يمكن أن تبدأ ويمكن أن تتبعها عملية التنمية. إن التحلي بالصبر التكتيكي والسياسي لتحقيق الأمن المستدام يمكن أن يفضي إلي مزيد من السلام المستقر والدائم، ويقيم في النهاية بيئة آمنة تنعم بالاكْتفاء الذاتي.<sup>10</sup>

إن السبيل الوحيد لكسب زمام المبادرة في مناطق كان بها وجود سابق محدود لقوات التحالف والحكومة هو القيام بعمليات هجومية ودفاعية. ومع ذلك، أصبحت عمليات مكافحة التمرد تلقينية على نحو يدفع إلى التمهّص الدقيق فيها. لقد حدثت سلسلة من الروايات الناجحة المنفصلة جغرافياً والمؤقتة المتعلقة بعملية مكافحة التمرد - بناء جدار

ساند في قرية دفع القرية كلها إلى دعم التحالف أو احتساء ثلاثة فجاجين من الشاي مع زعيم قبلي جالس على السور دفع القبيلة كلها إلى دعم التحالف - ببعض كبار صانعي السياسة إلى الاقتناع بضرورة تجنب القتال مهما كانت التكاليف. وتظهر الهجمات الانتحارية الحديثة على أكبر قواعد في أفغانستان أنه لا يزال هناك رجال مدفوعون أيديولوجياً على استعداد للقتال حتى الموت. إن بناء جدران سائدة واحتساء فجاجين من الشاي لا تزال محدودة في تأثيرها. ويجب ألا تفرض قيود على العمليات الدفاعية والهجومية أو الضغط عليها بجدول زمني. ولكن يجب أن تستمر في تشكيل، وتطهير، وعقد، وبناء نشاطات عبر خطوط عمليات الأمن، والحكم المحلي، والتنمية. ويجب أن تنفذ كل هذه النشاطات الطموحة المتعلقة بمكافحة التمرد في ظل قيادة حكومة جمهورية



الرئيس: أن جوان هالدين سلاح الطيران الأمريكي

جنود أمريكيون يقومون بدورية في إقليم قندهار بأفغانستان. 15 كانون الأول، ديسمبر 2009.

إن الشورى ومجلس الحكماء وسيلتان أفغانيتان تقليديتان لفض المنازعات واتخاذ القرارات الخاصة بالمجتمع. الفرق الرئيسي بين الاثنين، طبقاً للعلماء، هو أن الشورى تجتمع استجابة لحاجة معينة، لا سيما وقت الحروب، في حين أن مجلس الحكماء أكثر مساواة وتجتمع بصورة منتظمة - وهذا هو السبب في أن مجلس الحكماء أصبح هيكلًا سياسياً وطنياً، بينما الشورى ليست كذلك.<sup>12</sup>

ويتعين التواصل مع هذين الجهازين لاتخاذ القرار قبل القيام بمعظم النشاطات، وليس كلها. وتستغرق عملية التواصل هذه وقتاً، ولكن مفهوم "عن طريق ومع وخلال" يمكن أحياناً أن يمتد على نحو مفرط بينما يأخذ الوقت في النفاد. ومع ذلك، إذا كان المجتمع ضالعاً في نشاط أو مشروع معين، ثمة فرصة أكبر بكثير في أن يتولى حمايته.

فمثلاً، وجد استطلاع أجرته المنظمة الحقوقية هيومان رايتس واتش أن المدارس التي تم بناؤها عن طريق برنامج التضامن الوطني التابع لوزارة إعادة التأهيل والتنمية الريفية كانت أقل احتمالاً من المدارس الأخرى في أن تصبح أهدافاً لعمليات تخريب وتدمير من جانب طالبان.<sup>13</sup> ونظراً لأن مثل هذه المجتمعات التي جرى تعبئتها تنتخب مجالس التنمية المجتمعية الخاصة بها لتحديد، وتخطيط، وإدارة، وبناء، ومراقبة هذه المدارس، فإن مدارسها تميل إلى البقاء على قيد الحياة على نحو أفضل. وتظهر هذه الحيوية المستمرة مفهوم «قيمة العرق» وليس استخدام البرنامج الذي يحظى بتقدير كبير، والذي ظل صامتاً وغائباً طوال العام الماضي في إقليم قندهار. علاوة على ذلك، يحذر بعض الخبراء من أن هذه المجالس قد تكون جيدة في جذب وتدبير تبرعات التمويل والمشروعات، ولكنها «ليست بالضرورة مؤهلة لفض المنازعات بين المجتمعات وداخلها».<sup>14</sup> ويدفع آخرون بانتقاد البرنامج خطوة أخرى فيشددون على أنه لا يصلح على الإطلاق في جنوبي أفغانستان بسبب

أفغانستان الإسلامية وقوات الأمن الوطنية الأفغانية لائتلاف المنظمات العسكرية المدنية الدولية كلما أمكن ذلك.

### الاحتفاظ بالمبادرة

يجب أن تبدأ عمليات الاستقرار بتعزيز الأنظمة التقليدية التي ثبتت صلاحيتها. فمثلاً، بدلاً من دخول مهمة "حفر الآبار" التي تغري بسهولة وإن كانت موحلة و"تطهير الكاريز" (الكاريز عبارة عن شبكات ري جوفية قديمة)، يتعين على الوحدات أن تجد القرية وتتواصل معها أو مع ميراب باشي (المسؤول عن المياه) لمعرفة شبكات الري التقليدية الصالحة، والبدء من هناك. ويكتب كاي وبغيريتش، وهو باحث في التنمية يقول -

ثمة خطر في احتمال أن تضعف المشروعات الممولة خارجياً، التي تنطوي على بناء مداخل المياه أو أعمال الصيانة، العمل الجماعي داخل المجتمعات المحيطة بالقناة أو زيادة الخلل القائم بالفعل في متطلبات أعمال الصيانة... ويوصي أنه قبل إصلاح مداخل المياه يتعين على المجتمعات أن توافق على مستقبل اقتسام المياه ومهام الصيانة. ويجب أن ترفع هذه الاتفاقات إلى إدارات الري، التي ستتحمل عندئذ المسؤولية عن تطبيقها.<sup>11</sup>

وفي المناطق التي يكون فيها خلاف حول المياه، عادة ما تنشأ المظالم بسبب مسائل متعلقة بإدارة وتوزيع المياه وليس بسبب نقص الآبار أو انسداد الكاريز. فحضر مزيد من الآبار يقلل مستوى المياه الجوفية ولا يخفف دائماً من الشكاوى. وفي بعض الحالات، ثمة أسباب مشروعة لحفر بئر أو تطهير كاريز، ومهما كانت الحالة، فإن الوحدات تميل إلى الاعتقاد بأن معالجة معظم القضايا المتعلقة بالمظالم عن طريق آليات الشورى القبلية التقليدية ومجلس الحكماء سوف توفر الحلول:

حشد الممثلين المطلوبين للشورى. غير أنه بعد شهرين فقط من عمليات التطهير التي قامت بها قوات الأمن الوطنية الأفغانية وحلف شمال الأطلسي، تحقق قدر من الأمن المستدام أسفر عن حضور مزيد من الشيوخ مجلس الشورى. وفي بداية تشرين الثاني/ نوفمبر 2009، حضر أكثر من 50 شيخاً عندما زار محافظ الإقليم الحي. وهذه الزيادة في المشاركة هي بمثابة مقياس لتقدير الأمن المستدام وأشارت إلى أن الوقت بات مناسباً للتنمية.

ينص الكتيب الميداني للجيش الأمريكي 24-3، مكافحة التمرد، على أن «باستطاعة القوات العسكرية أن تؤدي مهام مدنية ولكن ليس بكفاءة الهيئات المدنية التي تضم أفراداً مدربين على تلك المهارات. كذلك، فإن القوات العسكرية التي تؤدي مهام مدنية لا تؤدي مهام عسكرية»<sup>16</sup> ولكن، مع تحقيق الأمن المستدام في حي أرغنداب، يمكن لأدوات أخرى للقوة الوطنية، مثل الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، أن تجلب إلى المنطقة على نحو يتسم بالسلامة والاستمرارية برامجها ومشاريعها التي تتكلف عدة ملايين من الدولارات. فمثلاً، تم تطبيق برنامج قسيمة أفغانستان لزيادة الانتاجية الزراعية الإضافي، الذي تصل ميزانيته إلى 240 مليون دولار، في وادي نهر أرغنداب. ويعتبر الكثيرون في القوات المسلحة، بمن فيهم صفوة من قادة اللواء الثاني الاستكشافي لمشاة البحرية في هيلماند وكذلك صفوة من ضباط الاستقرار في القوة الخاصة المدرعة سترايكر في قندهار، البرنامج بأنه الأفضل أداءً في برامج الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

ويوفر البرنامج ميزانية ضخمة، وتمويل سريع ومرن، وموظفين متمرسين:

- مبالغ نقدية فورية لبرامج العمل للتقليل من البطالة.
- منحاً صغيرة للجمعيات الزراعية توفر لها ما تحتاجه من معدات، وشتلات، وبذور، وأسمدة.

الضعف الأمني وتفشي الفساد. وفي النهاية، فإن انتخابات المجالس المحلية المرتقبة سوف تنفي الحاجة إلى نظام مصطنع قائم جنباً إلى جنب مع نظام قام على أسس دستورية: المجلس المحلي. ورغم هذه التغييرات المرتقبة، سيظل نظام الشورى ومجلس الحكماء قابلاً للتطبيق في معالجة القضايا المجتمعية الداخلية والمحلية. في غضون ذلك، سيكون من الأفضل وضع إدارة وتدبير المشروعات في أيدي المجالس المحلية المنتخبة، التي ستمثل وجه الحكم المحلي. إن الاستعانة بالشورى ومجالس الحكماء، وعلى نحو مثالي بالمجالس المحلية (لم تعقد الانتخابات المحلية خلال الانتخابات الأخيرة)، ستوفر للمجتمعات المحلية نسختها الخاصة من «قيمة العرق» وسيضع المسؤولون المحليون أسماءهم على المحك، مما يجعلهم، على الأرجح، يدافعون عن مشروعاتهم بحياتهم. وهذا هو تعريف الاحتفاظ بالمبادرة. إن مزجاً من الأمن الذي توفره قوات الأمن الوطنية الأفغانية وقوات التحالف والاستثمار المجتمعي المحلي يدعم الأمن إلى أن يدخل الساحة مزيد من النشاطات التنموية الراقية والطموحة بقيادة المدنيين.

## التنمية

يجب ألا تبدأ التنمية إلا بعد إقامة الأمن المستدام وتحقيق استقرار المنطقة. في أيلول/ سبتمبر 2009، تألف مجلس حكماء تنمية حي أرغنداب، الواقع مباشرة إلى الشمال الغربي من مدينة قندهار، من نحو 10 إلى 12 من شيوخ القرية. وأدى تحديد قرية أولئك الشيوخ على الخريطة إلى اكتشاف أن جميع الشيوخ جاءوا من نفس الحافة الشرقية للحي. وأبلغ قادة التحالف رئيس الحي بأنه لن تكون هناك تنمية إلى أن يكون هناك مجلس حكماء يمثل كافة أرجاء الحي تمثيلاً حقيقياً. واعترف رئيس الحي بأن المجلس يفتقر إلى التمثيل الحقيقي، ولكنه لم يتمكن، بسبب غياب الأمن على مستوى الحي كله، من

أغا شيرزاي، المحافظ السابق لقندهار، إلى قبيلة باراكزاي. وينتمي محافظ قندهار وعمدة مدينة قندهار إلى قبيلة محمدزاي. حققت هذه القبائل ثراءً وسلطة هائلين من وراء عقودها مع قوات التحالف بينما لم تحصل القبائل الأخرى على أي منافع تذكر. ونتيجة لذلك، شاركت قوات التحالف، في معرض إقامتها للأمن المستدام، زعماء قبيلة ألوكوزاي احتساءً فناجين الشاي. وبعد تحقيق القدر الملائم من الأمن والبدء في عمليات التنمية، بدأ زعماء ألوكوزاي يتخذون قرارات حول نوعية مشروعات التنمية لقبائلهم وأماكن تنفيذها. وسمح التأكيد على خطوط عمليات الحكم المحلي بالنجاح في تهيئة الظروف الضرورية لعودة هذه القبيلة، التي أهملت من قبل، للدخول في حوار الحكم المحلي. والخطوط الثلاثة للعملية هي الأمن، والحكم المحلي، والتنمية.

إن ضبط توقيت الجهد هو الحل للكثير من تحديات التنمية. وبدون حركة مدروسة في الخطوط الرئيسية الثلاثة للعمليات، يمكن أن تعرقل التنمية الاستقرار وتعرض الأمن المستدام للخطر. وفي التاريخ الحديث لأفغانستان، فشلت الهيئات المدنية والعسكرية على حد سواء في تحقيق الاستقرار والتنمية. وربما أكثر مثل ناصع على الفشل العسكري هو التوزيع العشوائي للمعونة الإنسانية، التي يجب أن توزع لأسباب إنسانية وحسب. وكثيراً ما تعتقد وحدات حسنة النية أن المعونة الإنسانية هي وسيلة رئيسية لكسب "قلوب وعقول" السكان، وتوزعها بدون الرجوع إلى الحاجة الفعلية للسكان. وكتب كاتب مجهول في سمول وورز جورنال يقول: «إن القلوب والعقول عنوان رائع لرواية رومانسية للمراهقين، ولكنني اعتقدت دائماً أنه اسم سيئ لمفهوم مكافحة التمرد»<sup>17</sup>. وخلال مؤتمر محافظي الأقاليم في آب/ أغسطس 2009، طلب محافظ إقليمي أن تكف قوات التحالف عن توزيع المعونة الإنسانية، لأنها تخلق منه صورة المسؤول الحكومي العاجز عن توفير الاحتياجات لدوائره الانتخابية.

● برامج فساتم زراعية "لثني" المزارعين عن إنتاج الخشخاش.

● تدريباً لتحسين الانتاج الزراعي من خلال أساليب بسيطة ومعرفة كانت مجهولة من قبل بالنسبة للمزارعين المحليين.

في قندهار وحدها، ومنذ أواخر أيار/ مايو 2010، تم توظيف 40555 رجلاً في سن القتال، وصرف 57046 قسيمة، وتوقيع أو صرف 82 منحة صغيرة، وتدريب 28079 مزارعاً.

إن النجاح في أي من خطوط عمليات الأمن والتنمية أو كليهما ليس كافياً. وتلعب الحكومة دوراً على نفس القدر من الأهمية. ويكتب أندرو وايلدر، مدير الأبحاث في مركز فاينشتاين الدولي بجامعة تفت يقول.

في مجتمع منقسم على نفسه عرقياً وقبائلياً مثل أفغانستان، يمكن أن تستثير المعونة بسهولة غير حذراً بأن تساعد عن غير قصد في توطيد سلطة بعض القبائل أو الفئات على حساب الآخرين - وكثيراً ما تدفع الجماعات المنافسة إلى أحضان طالبان.<sup>16</sup>

إن النشاطات التنموية في غياب الحكم المحلي الرشيد يمكن أن تؤدي بالفعل إلى تدهور الأوضاع.

في حي أرغنداب تم استيعاب هذا الدرس وبُذلت جهود إضافية لإقامة حكم محلي رشيد. وكانت النتائج مجزية. فمثلاً، شككت قبيلة ألوكوزاي، في بادئ الأمر، في دعم رؤسائها للحكومة وقوات التحالف. ويُقدّر عدد سكان أرغنداب بـ 115000 وتشكل قبيلة ألوكوزاي نحو ستين في المائة منهم. ومن حيث الثراء والسلطة، كانت قبيلة ألوكوزاي في يوم من الأيام واحدة من القبائل الأربع الكبرى في جنوبي أفغانستان، وقبائل بوبالزاي، وباراكزاي، ومحمدزاي (متفرعة عن باراكزاي) كانت تعتبر من الآخرين. ولكن منذ غزو 2001، بدأت قبيلة ألوكوزاي تفقد أهميتها. وينتمي الرئيس كارزاي إلى قبيلة بوبالزاي، وغول

التشكيل والتطهير - في القيام بعمليات هجومية ودفاعية لكسب أو استعادة زمام المبادرة وتحقيق الأمن المستدام. بينما تتمثل الخطوة الثانية - التمسك والتشييد - في القيام بعمليات استقرار للاحتفاظ بالمبادرة والاحتفاظ بالأمن المستدام. بينما تتمثل الخطوة الثالثة والأخيرة - الانتقال - في دعم جهود تنمية ملائمة التخطيط والتنفيذ بقودها مدنيون تؤدي إلى تحقيق أمن مدعوم ذاتياً قابل للانتقال إلى جهة أخرى.

يجب أن يحدث التخطيط المناسب طوال هذه العملية حتى لا تضيع مبادرات الحكم المحلي والتنمية متى استتب الأمن المستدام. إن التنمية الطويلة الأجل مقرونة بأمن يقوده الأفغان هو العنصر الرئيسي لنقل الجهود الحربي إلى أيدي الأفغان. وحتى تستديم هذه الجهود. يجب أن تحدث التنمية جنباً إلى جنب مع جهود الحكم المحلي متى استتب الأمن المستدام. ميليتاري ريفيو

ومن بين أمثلة الجهود التي قادها مدنيون وحادث عن الطريق قرار فريق إقليمي لإعادة البناء توزيع المعونة الإنسانية عام 2008 خلال عيد الأخطر (الفطر) الذي توزع فيه الزكاة. وتقدم الصدقات إلى الفقراء والمحتاجين من المسلمين. فقد أراد الفريق توزيع المعونة الإنسانية على 200 من أفقر العائلات بالمدينة. وما بدأ كجهد قيّم ونبييل تحول إلى شيء آخر تماماً. فقد انتهت المعونة الإنسانية بكاملها في أيدي وسيط سياسي محلي قام بتوزيع المواد على أنصاره. وليس على المحتاجين إليها أكثر من غيرهم. فأحياناً ما تفشل حتى أفضل المحاولات لكسب القلوب والعقول.

### الطريق إلى الأمام

ثمة تسلسل واضح. ومنطقي للأحداث التي يتعين على الوحدات أن تنفذها في تواصل انتقالها يقوم على مبدأ شكل - طهر - تمسك - شيّد. وتتمثل الخطوة الأولى -

### ملاحظات هامشية

1. أنظر الموقع [www.chinapage.com/sunzi-e.html](http://www.chinapage.com/sunzi-e.html).
2. وليام ولاس وإدموند جيه. ديفين. "الأمن المستدام". روسي 152:4 (آب/ أغسطس 2007): 26.
3. اللائحة الإرشادية 3000.5 لوزارة الدفاع. 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 2005.
4. الكتيب الميداني (3-FM-07). عمليات الاستقرار. الملحق د. "نظرة عامة على تقييم التضارب بين الوكالات الحكومية" (واشنطن دي سي. مكتب مطبعة الحكومة الأمريكية) د-7.
5. أميتاي إيتزيوني. "إعادة البناء: وهم ضار؟ ميليتاري ريفيو (تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر 2008): 116.
6. إليزابيث بوميلر. "رجلى جيتس تصادف عقبات على مسرحين للعمليات". نيويورك تايمز. 13 كانون الأول/ ديسمبر 2009. أ16.
7. ستانلي ماكريستال. "لائحة إرشادات مكافحة التمرد للقائد". آب/ أغسطس 2009.
8. مايكل يون. "أرغنداب ومعركة قندهار". سمول وورز جورنال (كانون الأول/ ديسمبر 2009).
9. كارل فورسبيرغ. "حملة طالبان لقندهار". معهد دراسة الحرب (كانون الأول/ ديسمبر 2009).
10. وليام ولاس وإدموند جيه. ديفين. "الأمن المستدام". روسي 152:4 (آب/ أغسطس 2007): 27.
11. كاي ويجريتش. "استراتيجية المياه تقابل الواقع المحلي". وحدة الأبحاث والتقييم لأفغانستان. نيسان/ إبريل 2009. 16.
12. علي ورداك. "جيرغا - الآلية التقليدية لتسوية النزاع في أفغانستان". جامعة غلامورغان. المملكة المتحدة. 5.
13. جورج وورنر. "المدارس التي لا تشعلها طالبان". واشنطن مونثلي. كانون الأول/ ديسمبر 2007.
14. كاي ويجريتش. "استراتيجية المياه تقابل الواقع المحلي". وحدة الأبحاث والتقييم لأفغانستان. نيسان/ إبريل 2009. 54.
15. الكتيب الميداني 3-FM-24. مكافحة التمرد (واشنطن دي سي: مكتب مطبعة الحكومة). 2-9.
16. أندرو وايلدر. "نظام أسلحة، مبني على ضرب من الأمان". بوسطن غلوب. 16 أيلول/ سبتمبر 2009.
17. فيجيتيوس. "خرافة القلوب والعقول". سمول وورز جورنال (كانون الأول/ ديسمبر 2009).

### Persistent Security, Then Development

Captain Jonathan Pan, U.S. Army

Originally published in the English July-August 2010 Edition.